جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠- ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١- ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization
of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٢)، ع٢، ص ص ١١٩ - ١٤٧، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م)

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 2, (2), pp 119 -147, King Saud University, Riyadh (1446H / 2025)

الموارد المائية بالحجاز من خلال رحلة الحج المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين

د. الغالي بنهشوم
جامعة مولاي إسماعيل، المغرب
Lghaliamine2008@yahoo.fr
(قُدِّم للنشر في ١٢/ ٠٣/ ١٤٤٦هـ، وقُبِل للنشر في ٢٣/ ٠٧/ ١٤٤٦هـ)

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع "الموارد المائية بالحجاز من خلال رحلة الحج المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين"؛ وهو موضوع على قدر كبير من الأهمية؛ لأنه يقدم للدارس المهتم بتاريخ الحجاز تصورًا شموليًا حول أنواع الموارد المائية.

يتوخى هذا البحث تقديم وصف دقيق للموارد المائية التي تحويها الجزيرة العربية من قبيل وصفه للأودية، والآبار، والعيون، والبرك المائية، وفيض الأنهار، والواحات، الأمر الذي يكشف بوضوح القيمة التي يضطلع بها عنصر الماء في الرحلة الحجازية المغربية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين. وهذا ما يجعل من كتب الرحلات مصدرًا غنيًا بالمعلومات الهامة التي تمد الدارس بمادة دسمة حول مصادر الماء بالمناطق التي زارها الرحالة، وأماكن تواجدها، ونوعيتها؛ ففي جميع القرى والمدن التي ينزلون بها في طريقهم إلى الحجاز عادة ما كانوا يذكرون المواضع الجغرافية مصحوبة بذكر الماء؛ يصفون بدقة المجاري المائية بجميع أماكنها وحدودها، إذ نسجل أن الرحالة كلما وصف موضعًا جغرافيًا إلا وذكر هل به ماء أم لا؟

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أبرزها: أن النصوص الرحلية خلال هذه الفترة قد أسهمت في التعريف بأنواع الموارد المائية بالجزيرة العربية وبخصوصيتها، كما أبرزت في الوقت ذاته أهمية الماء بالنسبة للرحالة، فضلًا عن تقديم معلومات جغرافية وتاريخية للباحث المهتم بتاريخ المنطقة حول مواقع الموارد المائية وأماكن تواجدها.

الكلمات المفتاحية: الرحلة الحجيّة، الماء، الحجاز، المغرب، الموارد.

Water resources in the Hijaz through the Moroccan Hajj pilgrimageIn the 11-12 centuries AH

Dr. Lghali Benhacoum
Moulay Ismail University, Maroco
Lghaliamine2008@yahoo.fr

(Received: 12/ 3/ 1446 H; Accepted for publication: 23/ 7/ 1446 H)

Abstract:

This research deals with the topic"water resources in the Moroccan Hijazi journey", which is a topic of great importance,since It serves as a valuable resource for readers with a keen interest in history, offering them deeper insights and a nuanced understanding of the subject of history of the Arabian Peninsula with a comprehensive understanding of its types of Water Resources .

This research aims to provide an accurate description of the water resources contained in the Arabian Peninsula, such as a description of valleys, wells, springs, water ponds, oases, which clearly reveals the value that the water element plays in the Moroccan Hijazi journey. This is what makes travel books a rich source of valuable information that provides the student with a substantial material about the sources of water in the areas visited by the explorers , their locations, and their types; in all the villages and cities where they disembarked on their way to the Hijaz, they usually mentioned geographical locations accompanied by mention of water; they accurately describe watercourses in all their locations and borders, as we record that whenever travelers describe a geographical location, they mention whether it has water or not.

The research has reached a set of results, the most prominent of which is that the travel texts we have reviewed have contributed to define the types of water resources in the Hijaz and their specificity, and simultaneously highlighted the importance of water for explorers, as well as providing geographical and historical informations to the researcher interested in the history of the region about the locations of water resources and their locations.

Keywords:The journey, Hejaz, Morocco,Water Resources.

المقدمة:

يتوخى هذا البحث تقديم وصف دقيق للموارد المائية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين التي تحويها الجزيرة العربية من قبيل وصفه للأودية، والآبار(١)، والعيون، والبرك المائية، وفيض الأودية وجريان السيول، والواحات، الأمر الذي يكشف بوضوح القيمة التي يضطلع بها عنصر الماء في الرحلة الحجازية المغربية. وهذا ما يجعل من كتب الرحلات مصدرا غنيًّا بالمعلومات الهامة التي تمد الدارس بمادة دسمة حول موارد الماء بالمناطق التي زارها الرحالة، وأماكن تواجدها، ونوعيتها؛ ففي جميع القرى والمدن التي ينزلون بها في طريقهم إلى الحجاز عادة ما كانوا يذكرون المواضع الجغرافية مصحوبة بذكر الماء؛ يصفون بدقة الموارد المائية بجميع أماكنها وأذواقها، إذ نجد أن الرحالة كلما وصف موضعا جغرافيا إلا وذكر هل به ماء أم لا ، وهل ماؤه عذب أم ملح أجاج، يقول حسين نصار: "إن أهم ما عني به الرحالة المياه لشدة الحاجة إليها في بعض المواضع، سواء كانت هذه المياه آبارا، أو أحساء، أو غدرانا، أو عيونا، أو بِركا، أو أنهارا، والتزموا أن يصفوا بدقة طعم هذا الماء على اختلاف مذاقاته" (نصار، ١٩٩١، ص١١٨). بل إن معيار حكم الحاج على قبح المكان وحسنه رهين بما يحويه من ماء وآبار ومجاري مائية، حتى إن الإحساس بالطمأنينة والأمن لدى الرحالة لا يتحقق إلا بجانب مواضع المياه. ثم إن النصوص الرحلية الحجية المغربية لم تقتصر على تحديد أماكن العيون والأودية والآبار والبرك المائية، بل رامت ذكر أسماء من تفضلوا ببنائها وتشييدها وترميمها.

تكمن إشكالية البحث في رصد الموارد المائية في الرحلة الحجازية المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، من حيث أنواعها، وأسماؤها، ومواقعها الجغرافية، وأهميتها الأمر الذي يتطلب تقصيا، وتتبعا دقيقا لكل المراحل التي قطعها الحاج منذ دخوله إلى القاهرة وانتهاء بخروجه من مكة والمدينة عائدا إلى وطنه. ولا شك أن الرحالة خلال هذه

(١) الآبار: جمع بئر مأخوذة من "بأر" أي حفر، وجمع القلة "أبؤر"و"آبر" وجمع الكثرة منها بئار. والبئر أنثى، وهي القليب، ويقال آبار فلانا أي جعل له بئرا، وابتأر أي حفر"، (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م، ص٣٤٥)، مادة (بئر).

المساحة الممتدة قد وقف عند الكثير من الموارد المائية ومنابعها، فوصف العديد من الآبار التي شكلت ملتقى لقوافل الحجيج والتجار في ربوع الجزيرة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- استشراف الرحلة الحجازية المغربية في التعريف بالموارد المائية التي تزخر بها غرب الجزيرة العربية.
- دور الرحلات الحجية المغربية في التأريخ لغرب الجزيرة العربية من خلال عنصر الماء، حيث استطاع الرحالة المغربي تقديم إفادات جغرافية هامة حول موقعه، ومنبعه، ونوعه. وبذلك شكلت الرحلة مصدرا هاما في التعريف بالموارد المائية الحجازية.

الدراسات السابقة في الموضوع:

ثمة دراسات هامة أفادت منها هذه الورقة البحثية، منها الأعمال القيمة للباحث عاتق بن غيث البلادي:

١- (أودية مكة المكرمة)، رصد فيها أودية مكة المكرمة، من وادي الليث جنوبا إلى وادي مر الظهران شمالا موضحا روافدها، وقراها، وموقعها الجغرافي، وهي على قدر أهميتها اكتفت بذكر الأودية دون أن تتطرق إلى الموارد المائية الأخرى التي تزخر بها الحجاز.

٢- (معجم معالم الحجاز)[١] دراسة معجمية ضخمة عن إقليم الحجاز، تعد أوسع دراسة في هذا الجانب[٢]. أفدنا منها في تعريف مواقع منازل الحج جغرافيا وما تحويه من موارد مائية.

(١) الكتاب في عشرة أجزاء، من منشورات مكة للطباعة، والريان للطباعة، ط٢، ٢٠١٠م.

(٢) يقول المؤلف عن معجمه "والذي أستطيع قوله بكل ثقة أن هذا الكتاب في شموله ودقة تحديده وتحقيق معالمه التاريخية هو الأول من نوعه في المعاجم العربية عن الحجاز"، مقدمة الكتاب.

٣- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية.

كما استفادت دراستنا من بعض المعاجم المشهورة في التعريف ببعض الموارد المائية وتحديد موقعها الجغرافي مثل:

٤- معجم البلدان لياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ).

٥- ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق مصطفى السقا.

٦- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، العلامة الجزيري ، عبد القادر الحنبلي(ت٩٧٧هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل.

كما أفدنا من مؤلف رحلة الشتاء والصيف، لابن كبريت(ت١٠٧٠هـ). في التعريف بالكثير من الموارد المائية، كم أفدنا من دراسة الغفير، محمد."الماء في رحلة ابن جبير"، والدراسة على ما لها من أهمية فإنها اقتصرت على القرن السابع الهجري تاريخ تدوين الرحلة. وقد أغفلت الكثير من الموارد المائية التي رصدتها الرحلات الحجازية المغربية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين. وهناك دراسات عامة تطرقت إلى مجموعة من الأخبار العلمية والاقتصادية والجغرافية منها الماء، نقصد بذلك الرحلات الحجازية التي قدمت وصفا دقيقا للأخبار المشار إليها آنفا. الأمر استدعى تجميع كل المعلومات المتعلقة بالموارد المائية خلال الفترة موضوع الدراسة.

رحلات حجازية مغربية في القرنين(١١-١٢هـ)

قبل الخوض في موضوع الدراسة لابد من التذكير بأهم الرحلات المغربية الحجازية في القرنين الهجريين الحادي عشر والثاني عشر-وهي غيض من فيض- منها:

- رحلة "ماء الموائد"، العياشي، عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبو سالم (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م)، في مجلدين، حقّقها: سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦م.

- الرحلة الحجازية "أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب"، ابن مليح، محمد بن أحمد السراج. تحقيق: الفاسي، محمد، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧٠م.

- الرحلة الحجازية لليوسي، أبو مسعود بن الحسن (ت١١٠٧هـ)، تحقيق: خيالي، عبد المجيد ، مطبعة التومي، سلا، المغرب، ٢٠٢١م.

- الرحلة الحجازية، الحضيكي، أحمد (ت١١٨٩هـ). ضبط وتعليق، لمدبر، عبد العالي. طبع وتوزيع دار الأمان، الرباط، المغرب، ٢٠١١م.

- الرحلة الحجازية، ابن الطيب الشرقي(ت١١٧٠هـ). تحقيق شوبد، نور الدين، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٤م.

- الرحلة الناصرية، الناصري، أحمد الدرعي (ت١١٢٠هـ)، تحقيق ملوكي عبد الحفيظ، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١١م.

- الرحلة الناصرية الكبرى، الناصري، محمد بن عبد السلام (ت١١٩٧هـ)، تحقيق المهدي، الغالي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، ٢٠١٣م.

- رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية، الإسحاقي، محمد الشرفي(ت١١٥٠هـ)، تحقيق، الأندلسي، محمد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، ٢٠١٧م.

مصادر الماء في الجزيرة العربية:

عرفت عملية رصد موارد المياه ومنابعه تتبعًا دقيقًا للمسالك التي سلكها الرحالة المغربي، متخذًا من الرحلة الحجازية لابن الشرقي(ص٣٢٥-٥٠٧)، والحسن اليوسي (ص٤٠-١٦٩)، والحضيكي(ص٥٥-١٩٤) والعياشي(ج١، ص٢٧٤-٢٩٥) وأحمد الناصري (ص٣٠٦-٣٤٠)، والزياني(ص٢١٧-٢٣٣)، ومحمد بن عبدالسلام الناصري (ص٥٠١-٦١٩)، نماذجًا تحتذى في توصيف المسالك ابتداء ببركة الحاج، وانتهاء بآبار النَّبط على الترتيب الآتي: بركة الحاج، وادي الرمل، مدينة السويس، النابعة، وادي الخروب، العقبة المشرفة، أرض التيه، بندر النخيل، بئر الصعاليك، عرقوب البغلة، عقبة آيلة، شرفات بني

عطية، أبو العظام، مغائر شعيب، عيون القصب، بندر المُوَيْلِح، دار أمِّ السلطان، بندر الأَزْلُمَ، اصْطَبْل عَنْتَر، وادي الأراك، بَندر الوَجْه، وادي الأَكْرَه، بندر الدَّرْكين، الحَوْراء، وادي العقيق، ثم وادي النَّبَطِ.

١-الآبار:

تحدث الرحالة المغربي عن الآبار المتواجدة في البلدات والقرى والدور، ووصف أشكالها وأنواعها وطول عمقها، وطريقة حفرها واستخراج الماء منها، ومكان تواجدها، ومدة الوصول إليها، و عدد أيام المكوث بها. وعليه جاءت الرحلات الحجية المغربية حبلى بذكر مجموعة من الآبار نستحضر في هذا الباب نصين الأول لأبي سالم العياشي[١] يصف فيه آبارا صادفها في طريقه إلى الحج: "ثم سرنا من المويلح إل دار السلطان، ونزلنا بوادي سلمى، وكُفافة، وخلف جبلها الغربي البحر الأصيل، وبجانبه القصطل البري منتظم كالنخيل، وحفائر مائها عذب بارد يشرب منه الغادي والوارد"(العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٢). والثاني للحضيكي، قال: "ثم ارتحلنا ونزلنا آبارا يقال لها أم السلطان، والآن بئر السلطان، وماؤه لا بأس به، ثم منه نزلنا بندرا يقال له الأزلام وماؤه ملح أجاج يسهل شاربه" (الحضيكي، ٢٠١١م، ص٩٥). ومن الآبار التي صادفها الرحالة المغربي في الطريق:

١-١ آبار الخَضْراءِ[١]

رصدت عين الرحالة المغربي مجموعة من الآبار في الطريق التي سلكها من القاهرة نحو الحجاز؛ فأول آبار يصادفها الرحالة بعد بركة الحاج آبار الخضراء[٢]، وهو أول منازل الحج قال الحضيكي: "ثم ارتحلنا منها-يقصد بركة الحاج- فنزلنا البويب[٤] خلاء يعرف الآن عند العامة بدار الحمراء ثم منها فنزلنا الخضراء، وهو بندر فيه بئر ماؤه أجاج وعليه صهريج

(١) ورد المسمى في رحلة نسمة الآس: الخُضَيْراء، (أملاح، ٢٠٢١، ص٧١)؛ وفي الرحلة الحجازية لليوسي: الخُضَيْرة، (اليوسي، ٢٠٢١م، ص١١٣). الخضراء مكبرة، والخُضيرة والخضيراء مصغرة.

(٢) اسم من أسماء منازل الحج من مصر إلى مكة المكرمة.

(٤) مدخل أهل الحجاز إلى مصر يعرف الآن بدار الحمراء (الحموي، ١٩٩٥م، ج١، ص٥١٢).

يملأ لسقي الإبل ويعرف الآن بعُجرود"(الحضيكي، ٢٠١١م، ص٩٤). وقد أحسن ابن الطيب الشرقي الوصف عندما ذكر آبار الخضراء أو الخُضيرة قائلا: "ثم نزلنا بالخضراء وقيل الخُضيرة وهي من أعمال بندر ينبوع في المسير. وهو أول بلاد الحجاز في الذهاب وآخرها في الرجوع، به حدائق ونخيل وعيون وزروع تسيح وتسيل، ولها سور منيع..."(ابن الطيب، ٢٠١٤، ج١، ص٢٩٩).قال الشاعر:

انظر إلى الخَضْراءِ واغنم بَسطَهـا * تلق رُباها نُزهة للـــرّاءِ**

فلربّ حشّاش شكى من همـــه * قد زال عنه الهم بالخَضْراء**[1]

ومدة الوصول إليها بالمسير، نحو المائتين بالتحرير[2]، أي إن الوصول إلى الخضيرة من مصر يتطلب إثنا عشر ساعة بالتقصير.

١-٢ آبار النّخْل بَنْدَر/ آبار بَنْدَرُ النَّخيل:

وثاني آبار بعد الخَضْراء يصادفه الحاج آبار النَّخْل بَنْدَر أو بندر النخيل على اختلاف في التسمية لمسمى واحد؛ إذ هو قلعة حصينة، تحوي آبار كبيرة وحصينة، ماؤها عذب بارد .قال الحضيكي: "فارتحلنا ونزلنا النَّخل بندر[3] فيه بئران وصهاريج تملأ من بيت المال للركب المصري وماؤها حلو"(الحضيكي، ٢٠١١م، ص ٩٤). وقد أجاد العياشي في وصفها: "وفي الغد أتينا النخيل صباحا، وصادفنا سوقا كبيرة فيها كثير من أنواع الفواكه الشامية..وهناك بندر حصين فيه بئر ماؤها عذبة كبيرة لا تنفذ أبدا.." (العياشي، ٢٠٠٦م، ج١، ص٢٧٦).

(١) ينظر: (الزياني، ١٩٩١، ص٢٢٥).

(٢) يقصد ساعة من الزمن ، وهي المدة التي يقطعها الحاج من بركة الحاج/ دار الحمراء نحو آبار الخضراء أو الخُضَيرَة. ينظر: (الزياني، ١٩٩١، ص٢٢٥).

(٣) موضع ماء في أرض التيه وادي التيه (نسبة إلى الموضع الذي ضل فيه موسى عليه السلام وقومه..).

١-٣: آبارُ الصَّعاليك:

بعدما ينجو الرحالة من أرض التيه، وهي الأرض التي أهلك الله فيها بني إسرائيل يصادف في طريقه بِئْر الصعاليك، ويسمى أيضا بِير البَارود[١]، ويسميه الحجاج "بَيَار الصَّعاليك"، وهي بئر كبيرة طويلة مطوية بحجر متقن في أصل وادي، وبجانب البئر أثر بناء وبركتين، إلا أنه لا عمارة عليه، وماؤه بارد قبيح لا يستسيغه الشارب[٢]. سماه الإسحاقي: "بير الزعالك"(العياشي، ٢٠٠٦م، ص٢٧٩-٢٨٠؛ الإسحاقي، ٢٠١٧، ص٢٠٧).

١-٤: آبار آيْلَةَ[٣]:

تأتي قرية آيلة قبل بندر العقبة الذي يبعد عن غزة مسير عشرة أميال. وآبار آيلة كثيرة ماؤها حلو وبارد من أطيب ما يشرب. بها سوق تعرض فيه فواكه العنب، والتفاح، والدلاع، والبطيخ.

١-٥: آبارُ ظَهْر الحِمار[٤]:

ظهر الحمار، ويسمى عند الأعراب حقل على بسيط من الأرض أحرش مرتفع، يطلع إليه من مسلكين لا يخلوان من صعوبة، وتحته على ساحل البحر أحساء كثيرة في وسط حدائق نخل، وماء ذلك المحل كله طيب، وقد يسمى ذلك المحل في زمننا هذا: حفائر النخل(العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٨٣). وآبار ظهر الحمار حلوة طيبة.

---

(١) سماه القادري، أحمد، في نسمة الآس: بير البارود و بير الصعالك، ينظر: (القادري، ٢٠٢١، ص ٦٩).

(٢) سماه الإسحاقي في رحلته "بير الزعالك" (الإسحاقي، ٢٠١٧، ص٤٧٧). وفي نسمة الآس في حجة سيدنا العباس "يسمى بير البارود وبير الصعالك"، (القادري، ٢٠٢١، ص٦٩). يقول محمد بن عبد السلام الناصري "بئر الصعاليك ويقال له بئر البارود، وهي بئر عادية واسعة مبنية بالحجارة في فلاة من الأرض قليلة الماء مع برودة وملوحة لا يطمع في مائها مع قبحه، إلا الصعاليك ولذلك نسبت لهم .." (الناصري، ٢٠١١م، ج١، ص٤١٣)، (اليوسي، ٢٠٢١م، ص١٠٣).

(٣) آيلة، مدينة معروفة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم، وهي أول حد الحجاز بها يجتمع حاج مصر والمغرب (الحموي، ١٩٩٥م، ج١، ص٢٩٢؛ الحضيكي، ٢٠١١، ص٩٤).

(٤) للتوسع أكثر ينظر: (اليوسي، ٢٠٢١م، ص١٠٣؛ الناصري، ٢٠١١، ج١، ص ٣٢٦-٣٢٧؛ الزياني، ١٩٩١، ص٢٢١).

١-٦: آبار الأَمْلِيليح:

الأمليليح أو المُوَيلح بندر كبير على شاطئ بحر السويس في اتجاه مكة والمدينة، يحوي آبارا كثيرة، وماؤه لا بأس به، وهو بساحل البحر، قال عنه محمد بن عبد السلام الناصري: "المُوَيْلِحُ هو بَنْدَر حصين، به وبخارجه آبار كثيرة، منها العذب وغيره، وبه بعض نخل، وهو أكبر البنادر وأجمعها للأعراب" (الناصري، ٢٠١٣، ج١، ص٤٢٦). وقال أحمد الناصري "بندر المويلح المشهور، ورأينا بساحله المراكب من السويس والطور، وبه جملة من الكروم التي تذهب برؤيتها الهموم، وبمخازن القلعة تودع الودائع، وإلى سوقها تساق نفائس البضائع، ومن ثمار تجلبها العرب"(الناصري، ٢٠١٣، ج١، ص٣٢٦-٣٢٧).

١-٧: آبار أمِّ السُّلْطانِ:

بئر في طريق الحج من مصر، تعددت تسمياته؛ فمن الرحالة من يطلق عليها "دارُ السُّلطان" (العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٢)، ومنهم من يطلق "بَيَار السُّلطان"(اليوسي، ٢٠٢١، ص١٠٨). وعند الرحالة الحضيكي" أبار يقال لها: أمُّ السلطان، والآن بئر السلطان، وماؤه لا بأس به"(الحضيكي، ٢٠١١، ص ٩٥). وسماها أحمد الناصري بـ"دار أم السلطان، بها آبار عذبة المياه، تستلذه الأفواه، على أنه سخن ولكنه سريع الانفعال للهواء. وهي محدثة وأحلى ما في الدرب من الماء"(الناصري، ٢٠١٣، ص٣٣٣).

١-٨: آبارُ إصْطَبْل عَنْتَرَ:

يحوي آبار محكمة البناء بحجر منحوت، وماؤها حلوا إلى الغاية، إلا أنه ضنين أنزحته الدلاء بسرعة قال العياشي: "ثم قال سرنا إلى مرحلة تسمى اصْطَبْل عنتر...والمسير إليها بين جبال صاعدة، وحدارات وأوعار متقاربة ومتباعدة، وبها أبار عذبة يود كل ظمآن شربة"(العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٠-٢٩٣)، قال الحضيكي: "ونزلنا بندرا يعرف بإسطبل عنتر، وفيه آبار، وماؤه لا بأس به"(الحضيكي، مصدر سابق، ص٩٥). قال الشاعر:

إن جئت للإصطبل لا* تغفلْ به عند النزولْ**

واحذرْ من العُرْب الذي* بجباله أبدا تصولْ**

واعلم –فذيتك– أنه* صعبٌ ولكني أقولْ**

قد سُمِّيَ الإصْطَبلُ من * عُرْبٍ به شبه الخيولْ**[1]

١-٩: آبار الوَجْهِ:

تقول العامة "الوشه" بالشين وهو لغة أهل مصر في الوجه. وفي أنس الساري سماه ب" قصبة الوجه، تقع بين جبال خارجة عنها الآبار الكثيرة". قال العياشي: "ومن كُفافة[2] إلى الوَجْه ثلاثة أيام، وهو ماء عذب طيب في أصل جبل...ولكنه ليس في الغزارة والإمكان مثله ...والوَجْه منتصف الطريق على التحقيق"(العياشي، ٢٠٠٦، ج ١، ص٢٩٣). بين مصر ومكة [3]. قال الشاعر:

قد دخلنا بَنْدَرَ الوَجْهِ الذي ***فيه قوتُ كل عام يُختزنْ

وشربنا من مياهٍ عَذُبـــت*شُربها يجلو عن القلب الحَزَنْ**[4]

١-١٠: آبار الأَكْرَه[5]:

قال أبو سالم العياشي في رحلته:"مررنا بالأَكْرَه ظهرا، وهو واد كبير تأتيه السيول من بلاد بعيدة، يذكر أن سيل المدينة المشرفة يصل إليه، وماؤه قبيح جدا، إلا أن يكون عقب سيل فيحسن، وفيه آبار كثيرة وأشجار ملتفة" (العياشي، مصدر سابق، ص ١/ ٢٩٤). أما صاحب نسمة الآس فقد وقف عنده قائلا: "به آبار مُرّة جدا، وقد يوجد في بعضها حلاوة""(القادري، ٢٠٢١، ص ١٠٥). وجاء في رحلة الإسحاقي "وادي (لكرة) ويقال

(١) (العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٣؛ اليوسي، ٢٠٢١م، ص٢٢٣).

(٢) كُفافة من كفة الرمل وهي أطرافه، وكل اسم ماء كانت فيه وقعة فهو كُفافة. (الحموي، ١٩٩٥، ج٤، ص٤٦٧). وكُفافة جبل يوجد في منتصف الطريق بين مصر ومكة يوازي جبل وادي سلمى، وماء كفافة: "غزير عذب ما يكاد يرى في البرية مثله عذوبة وصفاء". (اليوسي،٢٠٢١م، ص ١٠٨).

(٣) ينظر في الموضوع: (اليوسي، ٢٠٢١م، ص١٠٩؛ الحضيكي، ٢٠١١م، ص٩٥؛ ابن مليح، ١٩٧٠م ، ص١٤١).

(٤) (العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٣؛ ابن الطيب، ٢٠١٤، ص٤٤٢).

(٥) أشار الناصري، محمد بن عبد السلام إلى أن الأكره هو الحفرة التي تجتمع فيها الماء، فيغرف صافيا، فلعل الموضع سمي بذلك ، لأن فيه حفر الماء. (الناصري، ٢٠١١م، ج١، ص٤٣٣).

إنه هو رأس الوادي الذي يخرج في المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام"(الإسحاقي، ٢٠١٧، ص١١٢). قال الشاعر:

يا من أتى أَكْرَهَ في سيره* أبشر بنيل القصد والمنهْ**

لا تَكْرِهِ المكروه في أَكْرَهِ* فبالمكاره حُفَّت الجنهْ**[١]

١-١١: آبار الدَّركين[٢]:

الدَّرْكين منزل الحاج المصري، سمي بذلك لأنه بين درك أعراب مصر وأعراب الحجاز، يطلق عليه المغاربة والمصريين :"الحَنك" والأعراب" عكلة". وتوجد هذه الآبار في نصف الطريق بين مصر ومكة ولا توجد بها ماء.

١-١٢: آبار النَّبَطِ:

النبط: هو الماء المستخرج من الحفر[٣]، وهو بئر في طريق الحاج بعد الحوراء، وهو البئر الذي واجه فيه محمد صلى الله عليه وسلم كفار قريش في معركة بدر[٤]. وهو منهل من المناهل المشهورة، وفيه آبار أربعة محكمة البناء بالحجر المنحوت، ماؤها في غاية الغزارة لقرب عهدها بالأمطار، وماؤها من أعذب المياه وأحلاها، وأجلها وأصفاها، فيكون للحجاج رفق عظيم، ولاسيما إذا لم يكن بالوجه كثير ماء[٥].وأنشد الزين للشهاب ابن أبي حجلة:

مغارَةُ نَبَطِ أَخْصَبَ اللهُ أَرْضَهَا* وَلَا زَالَ يهمي بالمياه بها الجوُّ**

يُقَالُ مَا بَحْرُ الْحِجَازِ لِأَنَّهَا* بِهَا المَاءُ مِثْلَ البَحْرِ لَكِنَّهُ حُلُو**[٦]

(١) (الناصري، ٢٠١١ ،ج ١، ص٤٣٣).

(٢) ينظر: (العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٢٩٤؛ اليوسي، ٢٠٢١م، ص١١٠).

(٣) (الحموي، ١٩٩٥، ج٥، ص٢٨٥).

(٤) ينظر: (الحموي، ١٩٩٥م، ج٥، ص٤٥٠؛ العياشي، ٢٠٠٦م، ج١، ص٢٩٥؛ اليوسي، ٢٠٢١، ص١١٢؛ أملاح، ٢٠٢١م، ص٧٠-٧١).

(٥) ينظر في الموضوع: العياشي، ٢٠٠٦م، ج١، ص٢٩٥، الناصري، ٢٠١١م، ج١، ص٣٤٠ ، اليوسي، ٢٠٢١م، ص١١٢؛ الحضيكي، ٢٠٢١م، ص٩٦؛ الإسحاقي، ٢٠١٧م، ص٣٢٣).

(٦) البيتان منسوبان لابن أبي حجلة، ينظر: (الجزيري، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٥٨).

وله:

جئنا مغارَةَ نَبْطٍ وَالْمِيَاهُ بِهَا* لِلْوَارِدِينَ بِهَا فِي الْحُجِّ مَا شَاؤُوا**

لَمْ يَزِدْ بَعْدَ صَافِي مَائِهَا ثَمْراً* فِي الدَّرْبِ حَتَّى بَدا فِي يَنْبُعِ الماء**[1]

ويقول الفارضي[2]:

اسقني مِنْ مَاءِ نَبْطِ * لَوْ يَكُن فِي الْعُمْر مرّهْ**

وَدَعِ الْحورَاءَ فَإِنِّي* صِرْتُ أَشْنَاهَا وَأكْرهْ**[3]

وتسمية هذا المنهل: بِنَبَط -كما في غالب الرحل- هو المتداول المشهور الجاري على الألسنة، والأقدمون يسمونه مُغيرة، قال أبو سالم: "والماء المذكور يسمى في هذه الأزمان نبط... والذي ينطق به الكافة في أمثالها وهي كثيرة، مُغَيْرة بفتح الغين المعجمة وياء ساكنة خفيفة وتصغير، مغارة من الغور، وهو الأنسب بالأمكنة المسماة بهذا الاسم والله أعلم" (العياشي، مصدر سابق، ص ٣٢٦-٣٢٧).

١-١٣ : آبار رَابِغ[4]:

رابغ قرية قرب جدة، يوجد بها وادي يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة. كما يوجد بها آبار ونخيل على ساحل البحر، وبها حفائر ماء تنبع، ومزارع بطيخ بتنوع. "وفي رابغ يغتسل للإحرام، ومنه يحرمون وهو دون الجُحفة بمسافة"[5]. قال الشاعر:

تَجَرَّدتُ لَمَّا أن وصلتُ لرابغ* ولَبَّيْتُ للمولى كما حصل النَّدا**

وقلت إلهي عندك الفوز بالغنا* وإني فقير قد أتيت مجرَّدا**[6]

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) العلامة محمد الفارضي الحنبلي، شمس الدين(ت ٩٨١هـ)، عالم بالفرائض، شاعر. من أهل القاهرة. (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٦، ص٣٢٥).

(٣) (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٣٣٤).

(٤) ينظر: (ابن الطيب، ٢٠١٤، ص٤٤٦-٤٤٧، الحضيكي، ٢٠١١م، ص ٩٧).

(٥) اليوسي، ٢٠٢١م، ص١١٧.

(٦) الناصري، ٢٠١٣م، ج١، ص٤٦.

١-١٤: آبار ذي طُوى:

يوجد بئر ذي طُوى بمدخل مكة في المكان الذي بات فيه النبي محمد صل الله عليه وسلم ليلة الفتح، وهذه البئر يشرف عليها من الشرق جبل قُعَيْقِعان، وجهته هذه تسمى اليوم جبل السودان، حرص الحجاج المغاربة على زيارة هذا البئر والشرب من مائها(ابن الطيب، مصدر سابق، ص ٣٧١).

١-١٥: آبار قُدَيْد[١]:

قديد موضع بين مكة والمدينة على نحو ٨٠ميلا، بينهما الجُحْفَة، كثيرة الماء والبساتين. قال ابن كبريت: "وهو وادي فيه آبار ومزارع وقرية لطيفة، وعليه نخيل كثيرة"[٢].(ابن كبريت، ١٩٦٥م، ص٢٤٣).

١-١٦: آبار علي/ بيار علي[٣]:

توجد في منطقة تسمى الحُليفة في قرية بظاهر المدينة النبوية على طريق مكة، بينها وبين المدينة ستة أميال، تقع بوادي العقيق عند سفح جبل "غير" الغربي ومنها تخرج في البيداء تجاه مكة وتعرف اليوم عند العامة "ببئار علي"، حوله أحواض كبيرة يشرب منها الحجيج ويسقون دوابهم، ويغتسلون في مياهها، ويحرمون اعتبارا من هذا الموقع.

١-١٧: آبار عُسفان:

عُسْفانُ : قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع بين مكة والمدينة على ستين ميلا من مكة شمالا، وهي "مجمع ثلاث طرق مزفتة: طريق إلى المدينة، وقبيله إلى مكة، وآخر إلى

(١) ينظر: (الحربي، ١٩٦٩م، ص٤٥٩،؛ الحموي، ١٩٩٥م، ج٤، ص٣١٣؛ ابن الطيب، ٢٠١٤، ص٣٦١. قال البلادي: "قُديد: قرية بأعلى وادي أرن من ديار بني عبد الله من مطير، فيها زراعة، وفيها مدرسة ومسجد". (البلادي، ١٩٨٢م، ج١٠، ص١٣٥٦-١٣٥٩).

(٢) (ابن كبريت، ١٣٨٥هـ، ص٢٤٣).

(٣) ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٤٦٥؛ ينظر: جلبي، ١٩٩٩م، ص١٦١؛ البلادي، ١٩٨٢م، ص١٠٣-١٠٤؛ شراب، ١٩٨٥م، ص ١٠٣).

جدة"(البلادي، ١٩٨٢، ص٢٠٨)[١]، قال العياشي: "قرية عسفان وبها البئر التي تفل فيها سيد البشر، وهي بئر من شرب من مائها زال عنه الضرر" (العياشي، مصدر سابق، ص١/ ٣١٠). تحوي آبارا وبركا مائية كبيرة (ابن الطيب، مصدر سابق، ص٣٦٦).

١-١٨ آبار الرَّوْحَاء[٢]:

تسمى اليوم "بير الرحا" و"بير الراحة"، تبعد عن المدينة بأربعين ميلا[٣].ظلت الروحاء أو بئر الروحاء محطة عامرة على مر العصور، ولما جاءت السيارات خف أمر الروحاء وتقدمت جارتها/ بلدة المسيجيد، فصارت عامرة ، وتوجد بها اليوم مقاه وحوانيت، ويحرص الحجاج المغاربة على التروي من بئر الروحاء وكانت تسمى بئرها قديما ب(سجسج). قال ابن الرضية:

إذَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَايَ قَالَ صَحَابَتِي* لَقَدْ أَوْلَعْتَ عَيْنَاكَ بِالهَمَلَانِ**

أَلَا فَـــــاحْمِلَانِي بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا*إِلـى حَاضِرِ الرَّوْحَاءِ ثُمَّ دَعَانِي[٤]**

١-١٩ آبار المدينة السبعة[٥]:

توجد سبعة آبار مشهورة بالمدينة لخصها الزين المراغي في بيتين هما[٦]:

إذا رمتَ آبارَ النبي بطيبة* فعدتها سبْعٌ مقالا بلا وهنِ**

أريس وغرس وبضاعة*كذا بصَّة قل بير حاء مع العهن**

✓ **بئر أريس**: توجد في حديقة غربي مسجد قباء قريبا منه وماؤها غزير يستقى منه إلى بركة في الحديقة. وقد جعل لمائها نفق من أسفلها حتى يتصل ماؤها بالعين الزرقاء.

---

(١) ينظر أيضًا: (الإسحاقي، ٢٠١٧م، ص ٣٦٦).

(٢) ينظر: (البلادي، ١٩٨٢، ص١٤٣).

(٣) (الإسحاقي، ٢٠١٩، ص ٤٦١؛ السمهودي، ١٤١٩هـ، ج٤، ص٨٣).

(٤) البيتان أوردهما الزين الحنبلي في: (الجزيري، ٢٠٠٢، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٤)، ونسبهما من قول ابن الرضية، (الإسحاقي، ٢٠١٧م، ص٤٦٢؛ البلادي، ١٩٨٢م، ص١٤٣).

(٥) ينظر تعريف وتوصيف هذه الآبار السبعة في: (الحضيكي، ٢٠١١، ص١٧٠؛ العياشي، ٢٠٠٦، ج١، ص٤١٥).

(٦) ينظر: (السمهودي، ٢٠٠١م، ج٣، ص٩٦؛ العياشي، ٢٠٠٦م، ج١، ص٤١٥).

- ✓ **بئر غَرس**: توجد شرقي قباء على نصف ميل من مسجدها إلى جهة الشمال ؛ وحولها حديقة، وبجانبها مسجد.
- ✓ **بئر بضاعة**، بالقرب من بئر حاء الشمالي، في حديقة كبيرة ذات نخل أقرب أبواب المدينة إليها باب الشامي عن يمين الخارج منه قليلا وحولها مسجد وبركة ماء.
- ✓ **بئر بصة**، بئر قريبة من البقيع على طرق قباء في حديقة نخل على طرف بطحاء ، وماؤها أخضر؛ وفي البصة يوجد بئران: كبرى وصغرى.
- ✓ **بير حاء**، قرب مسجد المدينة، يعرف بقصر بني جديلة؛ وهي على شمال سور المدينة؛ أقرب باب إليها باب البقيع.
- ✓ **بِئْر رومَة**، توجد وسط المدينة بوادي العَقيق، وهي إلى الجُرف أقرب، والطريق إليها على مساجد الفتح، ثم يعدل يسارا إلى ناحية مسجد القبلتين ثم يمر تحت أسفله قاصدا العقيق، فهي هناك وبقربها مزارع.
- ✓ **بئر اليسيرة**: تعرف الآن ببئر العهن، وهي معروفة بالعوالي مليحة جدا منقورة في الجبل وعندها سدرة.

وإلى جانب الآبار السبعة ذكر بئران آخران هما:

- ✓ **بئر السقيا**: توجد في آخر منزلة النقا على يسار السالك إلى بئر علي، وهي بالحرة الغربية وحولها بركة عظيمة يردها الحجاج أيام نزولهم عليها.
- ✓ **بئر زمزم**: وهي قريبة من السقيا على يمين الطريق(الناصري أحمد، مصدر سابق، ص٢/ ٥١٢).

هكذا، إذن تتعدد الآبار بالحجاز والمدينة النبوية وتتنوع،إذ حاولنا في هذا الباب رصد جل الآبار التي مرّ منها الرحالة المغربي، وهي آبار عظيمة منها ما هو كثير المياه عذب فرات، وحلو شراب، ومنها ما هو ملح أجاج، ومنها ما هو جاف ليس به ماء.

٢- العيون والسواقي والمغارات:

شكلت العيون والأودية والآبار والسواقي مصادر مائية في الحجاز، كان لها نصيب الأسد من توصيف الرحالة المغربي؛ فحاجة هذا الأخير إلى الماء ، وإلحاحه عليه، جعله يبحث في كل المسالك التي مرّ بها. وكلما سنحت له الفرصة للارتواء من المناهل المائية إلا وقدّم لها توصيفا دقيقا، ولذلك ألفنا العشرات من العيون والسواقي والآبار تؤثث فضاء الرحلة الحجية منها:

٢-١ : عيون مَديَن(١):

مَدْيَن مدينة قديمة عامرة، بها العيون الكثيرة والأودية المطردة العذبة والأجنة والبساتين والنخيل. من أراد أن يسلك من الشام على فلسطين إلى مكة، سلك جبالا خشنة حتى يصير إلى آيلة، ثم إلى مدين، ثم يستمر به الطريق مع أهل المغرب ومصر. وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام الماء لأغنام شعيب عليه السلام.

٢- ٢: عيون القصَب(٢):

تسمى أيضا **عَيْنونا**(٣)، تقع على الساحل قرب الدرجة ٥/ ٣٨ط، و١٠/ ٣٥. قريبة من مدينة مدين، ماؤها في غاية العذوبة، يجري من بين القصب الفارسي بين نبت مختلف طيب الطعم والرائحة، قال ابن الطيب الشرقي واصفا إياها: "إذا نظر إليها العاجز أذهبت عنه الوصب، الخضر منها نضرة، والأشجار بها منتظمة ومنتثرة" (ابن الطيب، مصدر سابق، ص ٤٣٩). قال الشاعر:

قد وصلنا لعيون القصب*واستراح القلب بعد النصبِ**

وعيون الماء فيها قد جرت*كسيول الغيث بين القصبِ**(٤)

(١) ينظر: (اليوسي ، ٢٠٢١م، ص١٠٦؛ ابن كبريت، ١٣٨٥هـ، ص ١٩).

(٢) ينظر: (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٤٣٩؛ الناصري، ٢٠١٣م، ص٣٣١؛ اليوسي، ٢٠٢١م، ص١٠٦).

(٣) ينظر: (البلادي، ١٩٨٣م، ص١٢٣٠-١٢٣١).

(٤) وردت الأبيات في: (الزياني، ١٩٩١م، ص٢٢٢؛ اليوسي ، ٢٠٢١م، ص ١٠٧).

وقال آخر:

قصب الوادي هبوا لي ماءه* ففؤادي فيه حرّ الوصبِ**

أوقفوا بي برهة يا رِفقتي* أتروّى من عيون القصبِ**[1]

٢-٣ العَيْنُ الزَّرْقاء[2]:

تنسب إلى الأزرق مروان بن الحكم، أجراها وهو وال على المدينة المنورة، وأصلها من غربي مسجد قبا، تجري إلى المصلى، وعليها قبة. قال صاحب الرحلة الناصرية الكبرى :" توجد في حديقة قريبة من بئر أريس، وهي كبيرة امتدت بمياه آبار متعددة منها بئر أريس فصارت متبخرة يشخب فيها ميزابان عظيمان من مياه غيرها من الآبار، فاتُّخذت لها أسراب تحت الأرض إلى أن خرجت إلى بطحان، ثم إلى غربي المدينة فقُسِّمت جداول فأُدخل منها إلى المدينة من احْتيج إليه، وبني لها بناء متقن..منها يستقي أهل المدينة كلهم لشربهم"(الناصري، مصدر سابق، ٢/ ٥٠٨).

٢-٤ عين عرفة[3]:

تجري في عرفة عين ماء وأصلها من فوق عرفة إلى جهة جبل طوى بين الطائف ومكة، وتلك العين هي التي بين دور مكة، منها تملأ برك المعلاه مكة، وسقاية المروة، وميضأة المسجد الحرام.

٢-٥ عين الجُدَيْدَة

قال ابن الطيب الشرقي:" ونزلنا مع الصباح في الجديدة ذات المياه الغزيرة والفواكه المديدة، وهي قرية صغيرة بين جبال وحدائق ونخيل، ومضيق يخرج إلى عين جارية يطيب عندها النزول والرحيل وجبالها شامخة عالية، ونخلها وأرطابها متدانية"(ابن الشرقي، مصدر

(١) (اليوسي، ٢٠٢١م، ص ١٠٦؛ الحضيكي ، ٢٠١١م، ص ١١٤).

(٢) يُنظر في الموضوع، (ابن كبريت، ١٣٨٥هـ، ص١٤).

(٣) ينظر: (الحضيكي، ٢٠١١م، ص١٠٢).

سابق، ص٤٦٠). قال أحمد الناصري: "وبهذه القرية/ الجديدة مسجد جامع ببناء متقن تجري العين من تحته.." (الناصري، ٢٠١٣م، ج١، ص٣٦٥).

٢-٦: عين حُنَيْن:

قرية بدر حنين بين مكة والمدينة تبعد عن مكة ب ٩٠ ميلا ، توجد بها عين جارية، ونخيل قال مؤرخ مكة العلامة قطب الدين النهر والي محمد بن أحمد(ت٩٩٠هـ)، "وفي قبالة بدر عين ضعيفة يقال لها عين حنين، تجري في سفح جبل به مزارع ومساكن، وبعض نخيل.."(الجاسر، ١٩٨١، ص٥٢٥).

قال الحضيكي:" ثم مررنا بين جبلين عظيمين / القليب(وهو اليوم نخيل وموضع الشهداء) فنزلنا وراء ذلك الجبلين وفيه عين تجري ونخيل وقرية تعرف الآن ببدر حنين"(الحضيكي، مصدر سابق، ص ١٠٢).

٢-٧ عيون اليَنْبُع:

المقصود به ينبع النخل "يتعلق رأسه على قرابة ٥٠ ميلا من المدينة غربا، ثم ينحدر بين سلسلتين من الجبالِ"[١]، وهو موضع واسع كثير النخل، والفواكه والعمارات والمياه الجارية العذبة، وسمي ينبعا لكثرة ينابيعه، قال الجزيري عبد القادر:" اليَنْبُع منقول من مضارع نَبع الماء، كنصر، إذا ظهر، وهي على أربعة أيام من نواحي المدينة. وقال بعضهم: بها مائة وسبعون عينا"(الجزيري، ٢٠٠٢، ٢/ ١٦٠) أشهرها[٢]:

- ✓ **عين البَرَكة:** تقع بالقرب من ينبع النخل مما يلي الساحل.
- ✓ **عين علي رضي الله عنه،** من إحدى قرى منطقة ينبع النخل. وهي"عين فوارة في خيبر منسوبة لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لا زالت جارية في وقتنا الحاضر، ينبع ماؤها بغزارة من تحت حجر لا يعرف لها مدى" (البلادي، ١٩٨٢م، ص١٢٢٩). قال الشاعر:

(١) (البلادي، ١٩٨٣م، ص٣٤٠).

(٢) يُنظر: (الجزيري، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٦١-١٦٢؛ البلادي، ١٩٨٢م، ص ١٢٢٧-١٢٣٠).

حبَّذا بَنْدَر يَنْبُوعَ وما* في رُباه من رياض وعيونْ[1]

٢-٨:عين الكَديد[2]:

الكديدُ موضع بين مكة والمدينة، وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير، وحولها قبتان، وصهريج. يعرف اليوم باسم (الحَمض) أرض بين عُسفان وخُليص على مسافة٧٠ ميلا، من مكة على الجادة العظمى إلى المدينة، وسمي الحمض لكثرة نبات العصلاء فيها. (البلادي، ١٩٨٢، ص ٢٦٣).

٢-٩: عين تَبوك :

يقول ابن رشيد عن عين تبوك المباركة:" وهذه العين صهريج كبير مطوي بالحجر يجتمع فيه ماء كثير ويخرج منه إلى جفر[3] آخر كبير، يجتمع فيه ماء يسيل من ذلك. وماؤها كثير عذب، فاغتسلنا من هذه العين المباركة وتضلعنا من مائها الطيب المبارك"(ابن رشيد، ٢٠٠٣، ٥/ ١٠).

٢-١٠: عين خُلَيْص:

خليص: واد كثير الماء والزرع، يقع بين جبلين، شمال مكة على مسافة مائة ميل، به عين دائمة الجريان، يشرب منها الحجاج المغاربة. قال ابن الطيب الشرقي:" ألفينا مياهه سائلة، وفواكهه مبذولة لكل سائل وسائلة، وحوله من المزارع، ما يستغني ولو برؤيته الزارع، فاستقى الناس من فساقيه[4]، وتنعم بفواكهه وارده وساقيه، واشترى الناس من دلاعه الشديد الحلاوة، أكثر مما سقوا من مائه الذي لا نظير له في العذوبة واللذة والطلاوة، وقد

(١) قال العياشي:"اليَنْبُع هو أول بلاد الحجاج في الذهاب وآخرها في الرجوع، به حدائق ونخيل وعيون بين زروع تسيح وتسيل.."، (العياشي، ٢٠٠٦م، ماء الموائد، ج١، ص٢٩٩-٣٠٠) قال الحضيكي: "وهي قرى كثيرة ذات نخيل ومياه" (٢٠١١م، ص٩٦).

(٢) (البكري، ١٩٨٣م، ج٣، ص١١١٩؛ الحضيكي٢٠١١م، ص ٩٨).

(٣) الجفر: البئر الواسعة.

(٤) فِسْقيَّة، مفرد: ج فسْقيَّات وفَسَاقيّ: حوض من الرخام ونحوه، مُستدير غالبًا، تتوسّطه نافورة ماء. مسعود، ١٩٩٢م، ص٦٠١)(مادة فسق).

أكثر الرحالون من وصفه"(ابن الشرقي، مصدر سابق، ص ٣٦٣). وفي خُليص عين تجري، وأبنية وقهاوي، وسور، وقد سبق الماء في قنوات محكمة من العين، يفجر عنها في مواضع للسقي والوضوء إلى أن خرج الماء إلى بركة عظيمة تحت القرية لم أر أحلى منها ماء، ولا أعظم(العياشي، مصدر سابق، ١/ ٣٠٨) .

ومما يدخل تحت العيون المائية مغارات مائية أهمها:

- ✓ **مغارات عقبة آيلة:**

قال ابن الطيب الشرقي:"بعد الخروج من العقبة سرنا إلى واد بشاطئ البحر وأحطنا به خبرا، وبجانب البحر مغائر ماؤها عذب فرات، وآبار تسقي منها بسائر الجهات، ورأينا نخلا زاهية، وقلعة حصينة عالية فأقمنا ثلاثة أيام ونحن في زيادة إنعام وذبح أنعام، وقد وردت الفواكه من غزة وأعمالها"(ابن الشرقي، مصدر سابق، ص ٤٧٣). ومدينة آيلة أول حد الحجاز، بين مصر ومكة.

- ✓ **مغارة شُعيب :**

غار به ماء عذب ونخيل وشجر المقل، والأثل والظل والظليل قال الشاعر:

قد وصلنا إلى مغار شعيب*فرأينا المياه كالأنهار**

فاستقينا من مائه واستقينا*وظفرنا بغاية الأوطار**(١)

ومما يدخل في باب العيون المائية مما رصدته ريشة الرحالة المغربي البرك المائية؛ فكثيرة هي البرك التي وصفها، ووقف عندها واردا من منهلها، نكتفي بذكر بعضها على سبيل التمثيل والإشارة:

اسم البركة	مكان تواجدها	توثيقها
بركة الحاج	الطريق الذي يربط مصر ببلاد الشام والحجاز حي الناصرية بالسيدة زينب	الرحلة الحجازية، اليوسي، ص١٠٠

(١) (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٤٣٨)، وردت الأبيات في الترجمانة الكبرى (الزياني، ١٩٩١م، ص٢٢٢).

بركة خُليص	شمال مكة على مسافة مائة كلم عنده مسجد لرسول الله صل الله عليه وسلم	ماء الموائد١/ ٣٠٨
بركة أكره	رأس وادي الأكره الذي يخرج في المدينة	الرحلة الحجازية، ابن الشرقي، ص٤٤٢.
بركة الحنك	نصف الطريق بين مصر ومكة	الرحلة الحجازية، اليوسي، ص١١٠.

٣- المحور الثالث الأودية:

٣-١ : وادي الصَّفْراء[١]:

وادي الصفراء: واد من أودية الحجاز، كثير القرى، والخيوف، إذا خرج الحاج من المدينة إلى بدر فتجاوز (الفريش)، فهو في أول وادي الصفراء، يحوي بساتين، وحدائق، وعيون كثيرة جارية بماء عذب رائق، بين هاتيك المضائق، وبه مزارع حسنة جامعة لأنواع الفواكه من الرطب والموز والبطيخ والعجوة وغير ذلك لم يتبق من تلك العيون سوى القليل. يبعد عن المدينة ب ١١٢ ميلا، تقريبا للمتوجه إلى مكة. من روافده: وادي النازية، ووادي الجيّ، ثم يفيض في وادي الصفراء إلى بدر، ثم إلى البحر(الحربي، ١٩٦٩، ص٤١٤).

قال الشاعر:

ياوادي الصفراء أذكرتنا في جلق عيشتنا الخضرا**

فالراية البيضاء منشورة* إذا ذكرنا وادي الصفرا**[٢]

٣-٢ : وادي مرّ الظَّهْران / وادي فاطمة [٣]:

عرف الوادي قديما بمرّ الظهران، غير أنه في القرن العاشر الهجري سمي بوادي فاطمة، من أودية الحجاز على مقربة من مكة شمالا على مسافة ستة عشر ميلا، يصب في

(١) (ابن الطيب، ٢٠١٤، ص ٤٥٩؛ الحربي، ١٩٦٩م، ص٤١٤).

(٢) (الصفدي، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص٢٧٠) .

(٣) ينظر: (الحضيكي، ٢٠١١م، ص ٩٨-٩٩؛ ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٣٦٨؛ البلادي، ١٩٨٣م، ص٢٨٨؛ الحربي، ١٩٦٩م، ص ٤٦٥).

البحر جنوب جدة، ومن قراه: الجموم، وبحرة، ويسميه أبو سالم وادي الشريف[١]، وهو واد كبير فيه قرى متعددة ذات نخيل وبساتين وعيون تجري، وأعظمها القرية التي ينزل بها الحاج، وفيها سوق، وعين كبيرة، وبساتين مونقة.(العياشي، مصدر سابق، ١/ ٣٠٨)، تحوي أصنافا من الرطب، والبطيخ.

٣-٣: وادي المُنْصَرَف[٢]

المُنْصَرَفُ، يبعد خمسين ميلا عن المدينة على طريق مكة، يعرف اليوم بِالْمُسَيْجِيدِ، وهو واد يكثر فيه الرمال والكثبان جدب ليس به ماء ولا مرعى، قال الشاعر:

نزل الركب بوادي المنصرَف*وعلى لقياه كم مال صرف**

نحمد الله الذي جئنا له*وجميع الهم عنا منصرف[٣]**

٣-٤: واد النَّازِيَّة[٤]:

واد عظيم قرب المُسيْجيد المعروف قديما بالمنصرَف يدعه المتوجه إلى الصفراء على يمينه وهو يجتمع بوادي رحقان الذي يقطعه المسافر إلى الصفراء قبل أن يصل إلى مضيقها والواديان يشاهدان رأي العين من المسيجيد، على طريق بدر بعد المدينة بنحو خمسين ميلا.(البلادي، ١٩٨٢م، ص٣١١).

٣-٥: وادي العَقِيقِ[٥]:

من أودية المدينة المنورة، يأتيها من الشمال، ويأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال قدس ومن حرة الحجاز على قرابة١٤٠ ميلا شمال المدينة. قال عنه أبو سالم العياشي:"يأتي سيله من

(١) وضح الباحث عاتق بن غيث البلادي سبب تعدد تسمية الوادي قائلا: "سمي وادي فاطمة عند الحاضرة، ووادي الشريف عند البادية، وقد خاض الكثيرون في سبب تسميته بوادي فاطمة غير أن سبب تسميته بوادي الشريف معروفة ولعلها تلقي الضوء على سبب تسميته بوادي فاطمة".(البلادي، ١٩٨٥م، ص١٠).

(٢) ينظر: (البلادي، ١٩٨٣م، ص٣٠٣-٣٠٤).

(٣) وردت الأبيات في الترجمانة الكبرى، (الزياني، ١٩٩١م، ص٢١٨؛ ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٤٣٤؛ البلادي، ١٩٨٣م، ص٣٠٤).

(٤) (شراب، ١٩٨٥م، ص٢٨٥؛ ابن الشرقي، ٢٠١٧م، ص٤٦١؛ البلادي، ١٩٨٣م، ص٣١١).

(٥) ينظر: (البلادي، ١٩٨٣م، ص٢١٣؛ الحربي، ١٩٦٩م، ص٣٤٦).

أماكن بعيدة وربما دام شهرا فأكثر، وأسفله مما يلي الجُرف هو المسمى بالعَرصَة إلى غربي رومةَ، وما فوق ذلك إلى البقيع يسمى العقيق"(العياشي، مصدر سابق، ص ١/ ٤١٧). قال الشيخ محمد بن أبي القاسم بن القاضي:

فيا سائرا يبتغي حجّة* بدرب الحجاز انتبه يا صديق**

فمن أرض مصر إلى مكة* فسهل ووَعْرٌ بكل الطريق**

ففي الرمل تلقى كثير العنا* وفي عقبة تُلفي سوء المضيق**

ولكنك قد لا ترى مثل ما* تراه على أرض وادي العَقيقِ[1]**

٣-٦: وادي القِباب[2]:

القباب موضع بنجد على طريق حاج البصرة، قال عنه الرحالة ابن الطيب الشرقي "وسرنا إلى وادي القباب، وهو واد فسيح في الرحاب تهيم به قلوب الأحباب، ويتذكر به عهد زينب والرباب، لاسيما اجتماع الأصحاب، في موطن البعد والاغتراب" (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٤٣٤)، قال الشاعر:

شَاقَنَا وَادي القِباب المُرْتَقِي*في اسْمِهِ وَهُوَ فَسِيح في الرّبا**

فوصلناه وقد قلنا عسى*بعده نأتي إلى وادي قُبـــا[3]**

٣-٧: وادي التّيه[4]:

وادي تيه بني إسرائيل أرض من ريف مصر صلبة رملية، وبها نخيل، وعيون مفترشة، حدّ له بالجفار، وحدّ بجبل طور سينا وما اتصل به، وحدّه بإزاء بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين وهو واد واسع الفضا، ليس فيه ماء ترده الأنام، ولا ظل سوى ما ظلل بني إسرائيل من الغمام.

(١) (الناصري، ٢٠١٣م، ج١، ص٤٣٦).

(٢) ينظر: (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٤٣٤؛ الحموي، ١٩٩٥، ج٤، ص ٣٠٣؛ الزياني، ١٩٩١م، ص ٢١٨).

(٣) (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٤٣٤-٤٣٥).

(٤) للتوسع ينظر: (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٤٣٥؛ العياشي، ٢٠٠٦ ، ج١، ص٢٧٩).

٣-٨ : وادي سَرف[١]:

واد متوسط الطول من أودية مكة يبعد عن مرّ الظهران بسبعة أميال، يأخذ مياه ما حول الجعرانة شمال شرقي مكة – ثم يتجه غربا، فيمر على اثني عشر ميلا شمال مكة، وهناك أعرس رسول الله بميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها مرجعه من مكة حين قضى نسكه، وهناك ماتت ودفنت سنة ٣٨هـ.

٣-٩ : وادي الزاهر/ جنان مكة[٢]:

قال ابن الطيب الشرقي الفاسي:"وسرنا في مضيق الثنية إلى وادي الزاهر ويسمى جنان مكة، وبه آبار وأشجار، وخضر، وبه قبر يذكر أنه قبر الصحابي المشهور عبد الله بن عمر رضى الله عنهما"(ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٣٧٠).

٣-١٠: وادي ذي طُوًى:

واد قريب من مكة ، فيه آبار بين مكة والتنعيم، يغتسل فيه الحجاج بنية دخول مكة.يقع في محيط المسجد الحرام من الناحية الشمالية. يبعد عن الكعبة المشرفة بنحو ٩٠ ميلا.

٣-١١: وادي رُحقان: واد معروف يجتمع سيله وسيل النازية وسيل الجيّ، فتفيض كلها في الصفراء، ويشاهد من قرية المسيجيد في طريق بدر المعبد(شراب،١٩٨٥م، ص ١٢٦)[٣].

٣-١٢: وادي الرَّوحاء: أحد أودية المدينة المنورة، يقع بين مكة والمدينة، وهو من ديار قبيلة الرحلة من حرب فيه بئر معروفة قديماً باسم «بئر الروحاء» و كان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل بها إذا أراد العمرة أو الحج أو عند رجوعه من بعض الغزوات(ابن الطيب، مصدر سابق، ص ٤٦١).

وكثيرة هي الأودية التي ذكرها الرحالة المغربي، وما ذكرناه هنا لا يعدو أن يكون – غيض من فيض– يضيق بنا المقام في سردها والتعريف بها.

---

(١) انظر: (شراب، ١٩٨٥م، ص١٣٩؛ البلادي، ١٩٨٣م، ص١٥٦؛ ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص٣٦٩؛ ابن إسحاق، ١٩٦٩م، ص٤٦٧).

(٢) (الفاسي، ١٩٥٦م، ج١، ص٤٤٠)، قائلا: "وهو سبيل المرحوم عبد الباسط فيحطون – أي الحجاج – للاستراحة، ويغتسلون لدخول مكة"كما وصفه (ابن مليح، ١٩٧٠م، ص٧٦).

(٣) ينظر: (ابن الطيب، ٢٠١٤م، ص ٤٦١؛ شراب، ١٩٨٥، ص١٢٦).

خاتمة:

ختامًا يمكن القول:إن الرحلات المغربية الحجازية شكلت مصدرا هاما من مصادر تاريخ الحجاز؛ إذ اهتم الرحالة المغربي بتقصي الموارد المائية التي تزخر بها منطقة الحجاز. ما دام الماء يمثل عصب الحياة، ونظرا لأهميته في استمرار مسيرة الرحالة، فقد شكل عنصرا أساسا في اختيار طريق الحج وتتبعها، تبعا لخصائص جغرافيا المسار.

لقد أسهم الرحالة المغربي في تقديم إفادات هامة بخصوص الموارد المائية، من خلال الوقوف عليها، ووصف المسالك والمعابر المؤدية إليها، وذكر مسميات الآبار والعيون والسواقي التي يصادفها في طريقه. ففي جميع القرى والمدن التي ينزل بها الرحالة في طريقه إلى الحجاز كان يقدم معطيات جغرافية عنها، ولذلك ألفناه عندما يرحل إلى القاهرة متوجها إلى الحرمين الشريفين عبر الحجاز، يصف المسالك والمعابر وما بها من أودية وآبار وعيون وسواقي وبركات، وَصْف العالم الخبير. إذ يقف عند "الأودية"، و"العيون"و"الآبار"، وعند كل معلم ليملي الرحالة كثيرا من المعلومات والاستطرادات والارتسامات والخواطر، إلى أن يصل إلى الينبع وبدر، ورابغ، ومكة والمدينة وكلها أماكن تعج بالموارد المائية.

لقد حاول الرحالة المغربي أن يقدم للدارس المهتم بتاريخ الجزيرة العربية تصورا شموليا حول أنواع الموارد المائية، وأماكن تواجدها، ونوعيتها؛ المعطى الذي يجعل من كتب الرحلات مصدرا غنيا بالمعلومات الهامة التي تمد الدارس بمادة دسمة حول مصادر الماء بالمناطق التي زارها الرحالة، ومواضعها الجغرافية.

المصادر والمراجع:

الإسحاقي، محمد الشرقي. (٢٠١٧). *رحلة الوزير الإسحاقي الحجازية*. تحقيق: الأندلسي، محمد. ط١. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب.

أملاح، صفاء. (٢٠٢١). *نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس لأحمد بن عبد القادر القادري*. دكتوراه غير منشورة. كلية الآداب ظهر المهراز، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد. (١٩٨٣). *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*. تحقيق: مصطفى السقا. عالم الكتب. بيروت. لبنان.

البلادي، عاتق بن غيث. (١٩٨٢). *معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية*، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع. مكة. العربية السعودية.

البلادي، عاتق بن غيث. (١٩٨٢). *معجم معالم الحجاز*، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة. العربية السعودية.

البلادي، عاتق بن غيث. (١٩٨٥). ط١، منشورات دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة. المملكة العربية السعودية.

الجزيري، عبد القادر. (٢٠٠٢). *الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة*. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

جلبي، أوليا.(١٩٩٩). *الرحلة الحجازية*. ط١. دار الآفاق العربية. القاهرة. مصر.

الحربي، أبو إسحاق. (١٩٦٩). *المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة*، تحقيق: حمد الجاسر. ط١. منشورات دار اليمامة للنشر. الرياض. المملكة العربية السعودية.

الحضيكي، أحمد. (٢٠١١). *الرحلة الحجازية*. ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر. ط١. طبع وتوزيع دار الأمان. الرباط. المغرب

الحموي، ياقوت.(١٩٩٥). *معجم البلدان*. ط١.دار صادر. بيروت. لبنان.

الزياني، أبو القاسم. (١٩٩١). *الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا*، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي. ط١. دار النشر المعرفة. الرباط. المغرب.

شراب، محمد.(١٩٨٥). *المعالم الأثيرة في السنة والسيرة*. ط١. دار مكة للنشر والتوزيع. بيروت. لبنان.

الشرقي، ابن الطيب.(٢٠١٤). *الرحلة الحجازية*. تحقيق: نور الدين شوبد. ط١. دار السويدي للنشر. أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة.

العياشي، أبو سالم.(٢٠٠٦). الرحلة العياشية. تحقيق: سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي. ط١. دار السويدي للنشر والتوزيع. أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة.

الفاسي، تقي الدين.(١٩٥٦). *شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام*، ط١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة.العربية السعودية.

مجموعة مؤلفين.(٢٠٠٦). *السودان وإفريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب*. ط١. دار السويدي للنشر. أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة.

ابن مليح: محمد بن أحمد السراج. (١٩٧٠).*أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب وسيد الأعاجم والأعارب*. تحقيق: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس، فاس. المغرب.

الموسوي، محمد بن عبد الله. (١٩٦٥). *رحلة الشتاء والصيف*. تحقيق: محمد سعيد طنطاوي. ط٢. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. القاهرة. مصر.

الناصري، أحمد. (٢٠١١). *الرحلة الناصرية*. تحقيق: ملوكي، عبد الحفيظ. ط١، دار السويدي للنشر والتوزيع. أبوظبي. الإمارات العربية المتحدة.

الناصري، محمد بن عبد السلام. (٢٠١٣). *الرحلة الناصرية الكبرى*. تحقيق: المهدي، الغالي. ط١. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب.

نصار، حسين أدب الرحلة.(١٩٩١). ط١. مكتبة لبنان. الشركة المصرية العالمية للنشر. بيروت. لبنان.

اليوسي، الحسن. (٢٠٢١). *الرحلة الحجازية*. تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط١. مطبعة التومي. سلا. المغرب.

الدوريات:

الجاسر، حمد، "رحلات القطبي من مكة إل المدينة"، *مجلة العرب*، السنة ١٦، يونيو ١٩٨١م.

المواقع الالكترونية:

الغفير، محمد. ٢٠٠٣. *الماء في رحلة ابن جبير*. https://www.academia.edu